بتاريخ 30 جمادى الاول 1445
الاوامر

الجلسة 40

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

محاورةٌ حول تكلّم الله تعالى

لقد تَشكّلت خمسةُ آراءٍ حولَ سنخيّةِ تكلم الله تعالى:

1. ثُلّةُ الإماميّة و المعتزِلة حيث تعتقد بأن الله تعالى هو الذي يُوجِد الكلام ضمن نفوس الأنبياء أو الجمادات كالشجرة في طورِ سَيناءَ ليتكوّنَ متكلّمٌ حين التكلّم، فلا يُعدّ التكلّم وصفاً ذاتيّاً لله تعالى بل هو من أوصاف الفعل الإلهيّ إذ سِمةُ التكلّم عبارةٌ عن إيجاد الكلام خارجاً، و ذلک نظيرُ الخلق و الرزق، حيث إن المخلوق و المرزوق يَكتسبانِ شيئاً من الله بخلاف الأوصاف الذاتيّة حيث لا اكتسابَ في البين.

2. فِرقةُ الفلاسفة حيث تعتقدُ بأن الله تعالى قد اتّصف بسِمةِ التكلم ذاتاً، لا تكوينُ الكلام الخارجيّ فحسب، حيث قد أسلفنا البارحةَ بأنهم قد لاحظوا "التكلّم" من بُعدين: بُعد ذاتيّ ـنفس التكلّمـ و بُعدٌ فعليٌّ ـإيجاد الكلامـ فراجع، فبالتالي، إن أساسَ التكلّم يتقوّم بالذات الإلهيّ ثم عقيب ذلک يَتجلّى منه الكلامـكالوحي حيث إنه مصداق من الكلام الإلهيّـ تجليّاً و قياماً صدوريّاً لا حلوليّاً ـ وفقاً لتعبير السيد الخمينيّـ.

و مشياً في هذه الجادّة، ستَعودُ صفةُ التكلم إلى صفة الفيض بحيث قد أفاضَ منذُ الأزل على المستفيضِ الأوّل ـخاتمِ الأنبياءـ

تمريرُ الحوار إلى حقيقةِ القرآن الكريم

حتى الآن قد بانَت لک حقيقةُ الكلام الإلهيّ حيث إنّه ليس من نمط هذه الألفاظ و الحروف الظاهرية لأنها في المرتبة المُتنَزّلةِ الدنيويّة، و إنّما كلام الباري مُخبّأٌ خلفَ الحُجُبات ثمّ سبحانه قد أبدى الأسرارَ المُستترةَ في ضميرِه بواسطةِ الكلام القرآنيّ المادّيّ الحادث، و كنموذَج عرفيّ لذلک ـبلا تشبيهـ لاحِظ الإنسانَ الذي قد خزّنَ معلوماتٍ لدى نفسه فلو عزَمَ على تبيينِ تلک الحقائقِ القلبيّةِ لصاغَها بصياغَةٍ مادّية لفظيّة.

فعلى هذا المِنوال، إنّ القرآن الحاليَّ ما بين الدَّفتَين، يَتمتّع بحقيقةٍ مكتومةٍ حيث يقول تعالى: إنه لقرآن كريم في كتاب مكنونٍ لا يمَسُّه إلا المُطهّرون. فنظراً لهذه القرينة، تَظلُّ الحقيقةُ المتعاليةُ مُستترَةً لدى الله فحسب ـضمنَ اللَوح المحفوظِ الأصيلـ.

إذن، لم يَختلِق النبيُّ الأكرم هذه الألفاظَ من تلقاءِ نفسه كما تخيّله الحَدَثيّون، بل قاطبةُ الألفاظ تُعدّ وحياً إلهيّاً بحيث قد أنشأها اللهُ من علمه اللَّدُنّيّ، قائلاً: و إنه لَتنزيلُ ربّ العالمين. فلو صدرت الآياتُ من تلقاءِ الرسول لَما صدقَ عليه عنوانُ "التنزيل"، و لما صحّت الآيةُ التالية: إن هو إلا وحيٌ يوحَى.

قَصفُ شبهةٍ

شبهةٌ: لو أقرَرتم بأن القرآن المُنزَل هو حادثٌ لما تَلائمَ: مع قِدَم كلام الله تعالى و مع التكلّم الذاتيّ.

الطَمس: لو اعترفنا "بصفةِ التكلم الذاتيّ" لما تورّطنا في محذورٍ لأن الله قد علّم ـالنورَ الأوّلـ الحقائقَ برُمّتِها دفعةً واحدةً، حيث يقول تعالى: إنا أنزلناه في ليلة القدر، فقد عبّرت بالإنزال لا بكلمةِ التنزيل، لأنها تُشيرُ إلى الروايات الواردة بأن القرآن قد نزَل كرّتين:

1. دفعيّاً استناداً لقوله تعالى: نزل به الروح الأمين على قلبِک. وكذا الآية: و لا تعجَل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليک وحيُه و قل ربّي زِدني علماً. كذا الآيات: لا تُحرّک به لسانَک لتَعجلَ به، إنّ علينا جَمعَه و قرآنه، فإذا قَرأناه فاتّبِع قُرآنه، ثمّ إنّ علينا بيانَه.

2. تدريجيّاً لقوله تعالى: وقالوا لولا نُزّل عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلک لنُثبّتَ به فؤادَک و رتّلناهُ تَرتيلاً.

إنّ آلَ البيت النُجَباء مُشرّعونَ حقّاً

بالرغم من أن الرسول الأعظمَ لم يَختَلِقِ القرآنَ مِن لَدُنهُ، بيدَ أنّه قد تَمتّع بقُوّة التشريع، نظراً إلى:

1. أن الكافيَ قد عقدَ باباً حول تفويضِ النبيّ و العترة العَطِرَة: «يَا ابْنَ أَشْيَمَ، إِنَّ اللّٰهَ ـ عَزَّ وَ جَلَّ ـ فَوَّضَ إِلىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: «هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[1] وَ فَوَّضَ إِلىٰ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فَمَا فَوَّضَ إِلىٰ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا».[2]

2. أنّ الرسول قد فَرَض مَزيدَ ركعاتٍ في الصلاة، بل بشأن الحجّ قد ألفَينا عشراتِ النَماذِجَ قد شرَّعها النبيُّ من نفسِه نظراً إلى آيةِ التفويض، لا من باب التبليغ من جانب الله تعالى، إذ مُهمّتُه لم تنحصر ضمن البلاغ المبين فقط.

ثم تلوَ النبيّ قد تفعّلَ دورُ الأئمّة الطاهرين حيث قد حازوا مرتبةَ التبيين و التنقيح إضافةً إلى مستوى التشريع أيضاً، ولهذا ترى مئاتِ المسائلِ لم تَرِد ضمن الكتاب و السنة النبويّة، بينما قد شُرّعت من جانب الأئمة عليهم السلام.

و أما واقعةُ الأحاديث المتضاربة فلأجل خباثةِ الأعداء المُدسّسِينَ، و طروء الأجواء المُستعصيةِ جدّاً كالتقيّة فلولا المُبغِضون لَشاهدَنا انسجامَ رواياتِهم مع بعضٍ تماماً.

ولا غروَ أنهم عليهم السلام قد نالوا المَلَكةَ القُدسيّةَ ـوفقاً لتعبير أمير المؤمنينـ إذ سنُمثّل بتمثيلةٍ شرعيّةٍ أخرى تقريباً للذِهن: لاحِظ ـبلا تشبيهـ المجتهدَ الذي قد حَظيَ بالقوّة الاجتهاديّة الفائقةِ فلو عارَضَته مسألةً لَحلَّها بِبَساطةٍ ببركة تلک الملكة الروحانيّة.

نُكتةٌ حولَ آيَتَين

1. إنّ الآيةَ: ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا. قد أرشدتنا إلى أن الإيتاءَ قد صدر من جانب الرسول بالتحديد، أي: ما آتاكم الرسول من نفسه رغمَ أنّ الله لم يُبلِّغْه بذلک، إذ خاتم الأنبياء قد نالَ أمران: إبلاغُ الرسالة من الناحية الإلهيّة، و مَنزلَةُ التشريعِ الوسيع.

2. إنّ الآية: و ما يَنطِقُ عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، علّمَهُ شديدُ القُوى. تَحولُ حولَ القرآنِ الكريم فحسب، لا الأحاديثِ القُدسيّةِ أو فرائضِ النبيّ فإنها قد نَبعَت من تلقائه صلوات الله عليه وآله، وذلک بقرينةِ مناسبة الحكم (عدم النُطق) و الموضوع (الوحي و التعليم الإلهيّ) و يَدعَم ذلک شأنُ النزول أيضاً، إذ قد حظيَ المعصومون بقوّةٍ قدسيّة مُرتَقِيَة تماماً.

---

[1] ص (٣٨):٣٩.

[2] الكافي (دارالحديث)، جلد: ١، صفحه: ۶۶۲، 1387 ه.ش.، قم ـ ايران، مؤسسه علمى فرهنگى دار الحديث. سازمان چاپ و نشر